المجلة المغاربية للمخطوطات
المجلد 21 العدد 01 السنة 2025 ص ص 22-41
ISSN: 2170-1598
EISSN : 2600-6588

البعد السيميائي لعنوان مخطوط "الفوائد العظيمة" للشيخ الإمام المجاهد محمد بوده رحمه الله

The semiotic dimension of the title of the manuscript "The Great Benefits" by Sheikh Imam Mujahid Muhammad Boudah, may God have mercy on him

د / العيد بوده [1]

[1] عضو المجلس الأعلى للغة العربية، elaid88@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2023/12/12 تاريخ القبول: 2024/12/26

Abstract:

This humble article deals with an important aspect in the field of semiotic studies, which is the semiotic field in the title of the manuscript "The Great Benefits" of my master Sheikh Mujahid Mohamad Bouda, may God have mercy on him. Because the title is an important threshold in understanding the text.

Keywords:

The title; Seymia; Sheikh; Mohamad Bouda; the great benefits.

المؤلف المرسل: الدكتور العيد بوده

البريد الالكتروني: elaid88@gmail.com

الملخص:

يُنَاوِشُ هذا المقال جانبا مهما في مضمار الدراسات السيميائية، ويتعلق الأمر بالبعد السيميائي في عنوان مخطوط "الفوائد العظيمة" لمؤلفه سيدي الشيخ الإمام المجاهد محمد بوده رحمه الله؛ لتتبع أبرز الخيارات السيميائية والأسلوبية التي اكتنفت الصناعة العنوانية لدى الشيخ بوده من خلال مخطوطه المدروس. كما حاول البحث الوقوف على صورة التلقي العنواني في هذا المخطوط؛ بوصف العنوان ظاهرة تواصلية تداولية تقتضي المشاركة والمحاورة لاسيما وأن الظاهرة العنوانية تمثل عتبة قرائية مركزية تحتوي المدلول النصي.

الكلمات المفتاحية:

العنوان؛ السيمياء؛ الشيخ محمد بوده؛ الفوائد العظيمة؛ الدلالة.

1. مقدمة:

يعد العنوان نظاما لسانيا ذا أبعاد دلالية وأخرى رمزية تغري الباحث بالتقدم إلى محاورته، واستنطاقه، وهذا ما جعل الدراسات السيميائية تهتم به اهتماما بالغا "إذ يبرز معنى السيميائية في كونها دراسة للسلوك الإنساني باعتباره حالة ثقافية منتجة للمعنى، كما أن السيميائيات في معناها الأكثر بداهة، هي تساؤلات حول المعنى. لذا يُنْظَرُ إلى السيميائية على أنها علم تفسير معاني الدلالات والرموز والإشارات، وتعد من أحدث العلوم في مجالات النقد والأدب.لاسيما وأن علم السيمياء ينظر إلى النص الأدبي على أنه إطار لغوي متعدد الجوانب، منبثق من نظام إشاري سيميولوجي."[1]

وتنبثق أهمية الدراسة من أهمية الاشتغال على مدونة تنتمي إلى صميم ثقافتنا المغاربية التي نسعى جاهدين إلى تسجيل المشاركة في إضفاء طابع العناية بمكوناتها الوازنة، ويُضَافُ إلى هذا أهمية العنوان في استخلاص البنية الدلالية للنص، وتحديد سمات الخطاب بوصفه بنية عامة قابلة للفهم والتحليل والتفسير والتقويم. وهو يحتل في الفضاء النصي موقعا استراتيجيا خاصا يُشْرِفُ منه على

ISSN: 2170-1598
EISSN : 2600-6588

النص. وهو وحدة اتصال ممتاز، ومفتاح دلالي مهم، فهو من جهة وحدة معرفية مستقلة، لها كيانها الخاص ودلائلها التي تعبر عنها، ومن جهة أخرى سمة وظيفية مرتبطة بأدائها لعمله تجاه النص الذي تتعالق معه.[2]

وهذا ما يدفعنا لتتبع أبرز الخيارات السيميائية والأسلوبية التي اكتنفت الصناعة العنوانية لدى الشيخ بوده من خلال مخطوطه المدروس، كما سنحاول الوقوف على صورة التلقي العنواني في هذا المخطوط؛ بوصف العنوان ظاهرة تواصلية تداولية تقتضي المشاركة والمحاورة، فضلا عن كونها بنى إشارية دالة ذات وظيفة تأثيرية تستمد قوتها من موقعها الأيقوني. كما أن النصوص لا تكون ذات فاعلية إلا بتفاعل المتلقي معها. خاصة وأن النصوص العنوانية تمثل عتبة قرائية تحتوي المدلول النصي، لاسيما وأن البلاغة العربية تهتم بوصل القارئ بالنص لتحقيق الفهم وتعميق الإدراك النصي

وإذا سلَّمْنَا بأن القراءة تُعَدُّ خلقا جديدا للنص، فذلك يعني أننا نساير فعل التطوير في قراءة العتبات التي نستشفها من دلالات الخطاب الشامل. لذلك نرى أن الفهم الحقيقي لا يمكن أن يتشكل دون الانطلاق من تساؤلات القارئ بوصفه مبدعا افتراضيا، وذلك ما يجعلني-كقارئ- أتقصى إجابات الأسئلة الآتية :

من هو الشيخ محمد بوده؟ وما هي الأبعاد الدلالية التي تضمنها النص العنواني لمخطوطه المذكور؟ وهل نجح الشيخ في تحقيق التواصل القرائي بين العنوان ومتن المدونة من جهة، وبين العنوان والمتلقي من جهة ثانية؟ وهل استجاب العنوان للنبض الثقافي لبيئة المؤلف ؟أم أنه جاء متجردا من أي سمة فنية وثقافية تتعلق ببيئته؟

لاشك أنني سأحاول الإجابة عن هذه الإشكاليات، بالاعتماد على الآلية الوصفية؛ فيما يتصل بتعريف المؤلف ووصف المخطوط، يضاف إلى ذلك

استثمار أدوات المنهج السيميائي الذي نراه الأنسب في مجال العنونة المنبثق من عباءة السيميولوجية؛ التي تدعم مُسَايَرَتِنَا لتطوير الفعل القرائي للعتبات المستَشفَّة من دلالات العنوان المقروء. ناهيك عن كون البحث الدلالي جوهر النقد الأدبي الذي لا يمكن بدونه البرهنة على أي معطى أو معنى ؛ ولأن موضوع الدلالة جوهر الوعي الإنساني، علما بأن فهم النص لا يمكن أن يتِمَّ دون المرور بعتباته ،وذلك يمكن أن يتحقق على ضوء منهج معين كالمنهج السيميائي الذي نثق في آلياته ،دون أن نعتقد بأنه الأوحد والأصح دوما ؛لأنَّ ذلك سيلغي مشروعية المناهج الأخرى، وهذا مما دفعنا إلى الاستعانة بمنجزات آليات القراءة والتأويل.

ستنتظم ورقتنا السيميائية وفق خطة منهجية محددة؛ نفتتحها بتعريف العينة، ويتعلق الأمر بتعريف الشيخ الإمام محمد بوده، ومخطوطه المعني بالدراسة، ثم ننتقل إلى التحليل السيميائي لعنوان المدونة، الذي سنفتتحه بتوطئة حول العنوان بوصفه عتبة سيميائية رئيسة، ثم نتوجه بقراءتنا الدلالية نحو القراءة السيمائية لعنوان المخطوط.

2. العرض :

1.2. ترجمة الشيخ محمد بوده رحمه الله[3]

أولا: نسبه ومولده ومنبته

هو رجل مِفضال؛ سليل سالكي سُبُل العلم الديني، والتعليم القرآني، فآباؤه شيوخ أفاضل، وبهم يتصل نسب جدِّي: محمد بن الشيخ عبد القادر، بن الشيخ أحمد، بن الشيخ عبد الله، بن الشيخ عبد الرحمان، بن الشيخ مصطفى، بن الشيخ مختار، بن الشيخ بوبكر بوده صاحب حينون، نسبة لمنطقة تسمى زاوية حينون بدائرة أولف بإقليم التيديكلت. وقد وُلِدَ رحمه الله خلال عام 1903م، بمدينة أولف التابعة لمنطقة التيدكلت. وبها تلقى تعليمه الأول على يد والده لفترة قصيرة، قبل أن يتوفاه الله، ثم واصل تعليمه الديني على يد شيخه **"سيد أحمد العالم أبختي"** رحمهم الله أجمعين.

ISSN: 2170-1598
EISSN : 2600-6588

نشأ جدنا في مدينة أولف التابعة لمنطقة التيديكلت التابع لإقليم توات منطقة توات التي تضم مناطق الإقليم التواتي الثلاث (قورارة، توات، تيدكلت)، وهي اليوم سياسيا تابعة لولاية أدرار إحدى ولايات الجزائر ، ونظرا للمكانة الكبيرة التي كانت تحظى بها المنطقة مقارنة بجيرانها، أطلق إسم الإقليم عليها، وهي تقع ما بين نهايات الهضبة العليا للقرارة التي تشكل الحافة الشرقية لوادي مسعود، والحافة المقابلة له المسماة العرق الغربي ، فتوات العليا تبدأ من أعالي مقاطعة بودة في النقطة التي ينحرف فيها واد مسعود باتجاه الغرب فيأخذ اتجاهه الأول من الشمال إلى الجنوب ليصل إلى رڤان، موقعه بين هضبة تادميت شرقا .وعرق الرمل غربا، ومن الشمال منطقة قورارة ، ومن الجنوب منطقة تيدكلت، وتضم المنطقة كثير من القصور.

ثانيا: مسيرته التعليمية للقرآن الكريم:

لقد بدأ مسيرته القرآنية بمدينة تمنراست سنة 1930م، وعكف على تدريس القرآن الكريم، سيرا على خطى أبيه **الشيخ عبد القادر**، وأجداده السابقين، ومكث هنالك ثلاث سنوات، انتقل على إثرها إلى إقليم التاسيلي العتيق، بعدما أشار عليه مولاي الناجم الرقاني، بالذهاب إلى زاوية سيدي موسى بوقبرين، التي لم يكن بها معلم قرآن في تلك الفترة، فاستجاب له الشيخ محمد بوده، ويمَّمَ شطر تيماسينين التي حلَّ بها سنة 1933م، واستقبله فيها الراحل بن عبد النبي محمد كبير البلدة آنذاك، ثم شرع الشيخ محمد بوده، مرة أخرى في تعليم الناس القرآن الكريم، وأمور الدين القويم وأحكامه، سنة 1936م،

حيث قام ببناء بنى مسجد ومدرسة قرآنية وجعلهما وقفا لله ،وقد بناهما قرب منزله، في حي العين العتيق، بمساعدة مجموعة من أخيار البلدة وفضلائها،

وقد استمدت هذه المدرسة رعايتها من فضل الشيخ، وإعانات المحسنين. وقد اجتمع عنده ناشئة القرية وكبارها، يأخذون عنه أمور الدين، ولسان الضاد.

وتجدر الإشارة إلى حرص الشيخ محمد بوده رحمه الله على الاستزادة من علوم الدين، مما ساهم في رفع أفقه العلمي، فأشرقت مسيرته بحصيلة وازنة؛ قوامها عشرات المراسلات الفقهية مع أرمادة من شيوخ وعلماء المشرق العربي، كمصر، وسوريا، والعراق، وليبيا، والمملكة العربية السعودية، ناهيك عن تواصله العلمي والإنساني مع كوكبة من علمائنا الأجلاء في الجزائر؛ ونذكر منهم الشيخ مولاي أحمد الطاهري (1907م- 1979م) نزيل سالي بآدرار، و دفين مراكش بالمغرب الأقصى، والشيخ سيدي محمد بلكبير (1911م- 2000م) سليل ودفين أدرار، والشيخ باي بلعالم (1930م - 2009م) سليل ودفين أولف، والشيخ الطاهر بلعبيدي (1887م - 1968م) بإقليم وادي ريغ (تقرت)، والشيخ السي محمد بلحاج عيسى مسروق (1889م- 1976م) بمدينة الشط بولاية ورقلة، والشيخ عطية بن مصطفى مسعودي (1900م - 1989م) من ولاية الجلفة، والشيخ محمد بن مالك (1921م – 2018م) بعين صالح. والشيخ حمزة مخطار بوسعيد من سالي بأدرار، "والشيخ حمزة خضران بمنطقة عجاجة في ورقلة، " وغيرهم ممن لم أُحِطْ بهم خُبْرًا.

وقد قصَّ عليَّ أبي الحاج بوده عبد القادر رحمه الله(1941م-2023م)، أنَّ الشيخ باي بلعالم رحمه الله، رأى مخطوطا لجدي محمد بوده، فَحَسِبَ أنَّ المخطوط للشيخ سيد أحمد العالم، فقالوا له: إن المخطوط منسوخ بخط الشيخ بوده، وليس بخط الشيخ سيد أحمد العالم، فقال الشيخ باي عندئذ: لا شك أن الشيخ بوده أحد تلامذة الشيخ سيد أحمد العالم، -لما بينهما من شبه الرسم الإملائي وجودة المضمون- فقالوا له: نعم إنه كذلك.

ثالثا: مسيرته الجهادية ضد المحتل الفرنسي

لقد استجاب جدي رحمه الله. كغيره من أفذاذ الوطن الأشاوس لواجب الجهاد ، عشية اندلاع الكفاح المسلح؛ منذ أواخر سنة 1955م، حيث ساهم في

ISSN: 2170-1598
EISSN : 2600-6588

العمل الجهادي إلى جانب إخوانه من مجاهدي المنطقة. حيث تكفل رحمه الله بإيصال رسائل الثورة إلى مجاهدي المنطقة. كما اضطلع مع رفيقه المجاهد أحمد كادي المدعو التيلامو (1917م-1969م) بمهمة جمع التبرعات المالية الموجهة لدعم العمل الثوري المسلح من سكان المنطقة الذين كان يقوم بتعبئتهم لمظافرة المسار الوطني التحرري. ناهيك عن استقبال المجاهدين والثوار ببيته خلال مرورهم بضواحي تيماسينين. وهذا ما تسبب في اعتقاله بمعتقل فلاتيرز خلال سنة 1960م، ودخل معه السجن مجموعة من رجال البلدة، على غرار: الحاج أمبارك بن أحمد دحماني(1916م-1981م) المدعو امبيريك، والحاج أحمد كادي المدعو التيلامو (1917م-1969م) والحاج بوجمعة بن محمد حمادي (1930م- 2012م)، والحاج أحمد بن إبراهيم بن سالم المدعو حميد (1935م- 2019م)، والحاج عبد القادر بن إبراهيم بن سالم المدعو كاقل (1937م- 1985م)، والحاج سالم بيلو بن محمد بن سالم (المدعو بيلو) (1939م- 2002م)، والحاج أحمد بن النوي (المدعو الغول)، والطالب حمية من ورقلة. ومن هؤلاء من جمعه السجن بالمجاهد الراحل مشري بن بلقاسم بلعيد (1932م-2017م) الذي كان عميدا للشرطة العلمية بعد الاستقلال، وهو الذي قام بتلحيد شاعرنا السامق مفدي زكريا بعد استقبال جثمانه العائد من تونس الشقيقة. رحم الله الأموات منهم، وبارك في أعمار الأحياء.

رابعا: حجه بيت الله الحرام، ثم وفاته:

حجَّ سيدي الشيخ المجاهد محمد بوده بيت الله الحرام، غداة الاستقلال المظفر، وكان ذلك سنة 1965م، ورافقه في رحلته تلك الحاج التيلامو كادي (1917م-1969م)، والحاج أمبيريك دحماني (1916م-1981م)، والحاج وانتيني أخو (1929م-2005م)، رحمهم الله جميعا. وقد سافروا حينها بحرا على متن

باخرة، أقلَّتْهُم من ليبيا نحو المملكة العربية السعودية، مرورا بمياه الجمهورية المصرية.

توفي شيخنا الجليل رحمه الله، بعد عامين من حجه بيت الله الحرام، وكان ذلك يوم الخميس 16 جوان 1967م. الموافق للسابع ربيع الأول 1387هـ، في حدود الواحدة ونصف زوالا. بحي العين العتيق، ببرج عمر إدريس، بعد أن بلغ من العمر 64 عاما، وقد قام بتغسيله يومها الحاج صالح حمادي(1923م- 2006م)، والحاج أحمد غلوس المعروف بـ: الغلوس. رحمهم الله جميعا. لقد كانت وفاته حدثا موجعا في تيماسينين التي ماتزال شاهدة على دوره التنويري والجهادي، ولمَّا بلغ الناس نَعْيُه، جاء المعزون من مختلف بقاع الصحراء، على غرار أولف وتمنراست وعين صالح وورقلة. إي نعم. رحل **الشيخ المجاهد محمد بوده** رحمه الله، الذي عُرِف عنه تواضعه الجم، وكرمه المشهود، حيث كان يأوي إلى منزله القريب والغريب، ويُكْرِمُ فيه الناس بما أوتي من علم، ورزق حسن. رحمه الله، وأكرمه بشآبيب المغفرة، وأَنْعَم عليه بما وعد به عباده الصالحين، ورحم الموتى جميعا .. آمين يا رب العالمين.

2.2. وصف مخطوط الفوائد العظيمة

لقد ترك الشيخ محمد بوده رحمه الله تراثا مخطوطا قيما، غير أنه ضاع فيما ضاع من المفقودات، لكنني عثرت على ثلاث مخطوطات في خزانة والدي، إلا أنها ليست من تأليف الشيخ: أولها مخطوط ديوان مديح ابن مهيب، وثانيها مخطوط قصيدة البردة للبوصيري، وثالثها مخطوط قصيدة الهمزية للبوصيري. وفيما يلي مواصفات المخطوط محل الدراسة.

أولا: شكل المخطوط وحجمه:

أ- الحجم والصفحات:

يقع المخطوط في 15 صفحة، في كراسة متوسطو الحجم، قياستها، قريبة جدا من قياسات الورق الأبيض، (21سم -29سم).

ISSN: 2170-1598
EISSN : 2600-6588

ب- الغلاف:

غلافه ورقي رقيق كأغلفة الكراريس العادية، بلون بُنّي فاتح، وقد تم وضع شريط بُنّي لاصق، لإحكام مسك الأوراق، ولا تظهر على الغلاف عدد صفحات الكراس، بينما يظهر اسم الشركة المنتجة، مكتوبا في ظهر الغلاف بالبند العريض، على نحو: **RHODIA**. وبعد بحث قصير تبين لي أنها مؤسسة كندية لصناعة الدفاتر، وهي مؤسسة عريقة تم تأسيسها منذ بداية الحرب العالمية الأولى سنة 1939م.

وقد كُتِبَ على وجه الغلاف البسملة والصلاة على النبي، لكننا نلاحظ تعرض بعض العبارات للمحو بسبب، سقوط قطرات سائلة عليها. ونتوقع أنها قطرات مائية.

ثانيا: حالة المخطوط:

لقد وجدتُ المخطوط في حال جيدة، لم يلحق به أي ضرر من الأضرار التي تهدد المخطوطات، مثل الكسور، والتشققات، والثقوب، وتآكل الهوامش، ووجود بقع داكنة بسبب الرطوبة، أو الحشرات النافقة فوق الورق، وأحياناً اختفاء أجزاء معينة تختلف في حجمها أو مساحتها، كما نجد مشكلا آخر يتمثل في التصاق الأوراق ببعضها، نتيجة التأثر بعوامل التقادم الزمني، والأوضاع البيئية من حرارة ورطوبة؛ إذ يؤدي التقادم الزمني إلى إضعاف مقاومة المخطوطات، كما أن الرطوبة الزائدة تؤدي إلى تَشَبُّع الورق والجلود، فتنمو بعض الكائنات الدقيقة، وخاصة الفطريات مُخَلِّفَة مواد حمضية لزجة، وبُقَع لونية وأحماض عضوية، مما يؤدي إلى التصاق الصفحات بالجلود ومن ثم تَحَجُّر المخطوط.

لكن والحمد لله، فقد سَلِمَ مخطوط جدنا من كل هذا.

- أوراق المخطوط، من النوع الأوروبي، وكلها متماسكة، وليست ممزقة، عدا ورقة العنوان التي وجدتها منفصلة عن بقية الأوراق، لكنها محفوظة بين الأوراق الأخيرة منه.

- مادة الكتابة هي المداد الأسود، مما يؤكد أن أداة الكتابة تقليدية أيضا، وهي قلم القصب.

- لا يشتمل المخطوط على تاريخ التأليف، فلم أعرف متى ألّفه الشيخ، إلا أنني أتوقع أنه صنفه في أخريات حياته، لاسيما وأنه مكتوب على ورق كراسة مصنوعة، بما يوحي ببداية تطور الخدمات المكتبية، وليس مكتوبا على ورق قديم كأوراق المخطوطات الصفراء، التي كتب عليها رحمه الله ديوان ابن مهيب، وقصيدتي البردة والهمزية. إذ يدل نوع ورق تلك المخطوطات على قدمهما، وأن الشيخ قد كتبها في المراحل الأولى من مشوراه التعليمي للقرآن الكريم.

ثالثا: الخط الذي كُتِبَ به المخطوط:

كُتِبَ المخطوط بخط رشيق وأنيق، وواضح، يدل على موهبة في الكتابة لدى صاحبه، وبالنظر إلى اعتيادي على رؤية خط شيخي بوده محمد، فقد تبين لي، من الوهلة الأولى أن نوع الكتابة التي تضمنها المخطوط هي رسم الخط المغربي الذي كان منتشرا في ربوع المغرب الإسلامي من أقصاه إلى أدناه[4]، الذي كُتِبَت به مخطوطاته الثلاثة التي أسلفت ذكرها، وهو الخط الذي نشأنا بين رسمه سنوات التعليم القرآني على يد شيخي الكريم الماجد "دحو لعبيد" رفع الله شأنه وقدَّس سِرّه.

رابعا: محتويات المخطوط:

لا يحتوي المخطوط على مقدمة، ولا على خاتمة؛ وإنني أضع لذلك مجموعة من الاحتمالات.

أ- لعل الشيخ بوده تعمَّد الاستغناء عن هاذين العنصرين. إذ يحتمل أنه صنَّف الكتاب للاستعمال الشخصي.

ISSN: 2170-1598
EISSN : 2600-6588

ب- لعل المقدمة والخاتمة سقطتا من المخطوط. رغم إني استبعد هذا الاحتمال؛ لاسيما وإنني وجدت صفحة العنوان منفصلة عن أوراق المخطوط. لكنها محفوظة بين أوراقه. مما يدل على حرص خازن المخطوط على حفظه وتأمينه، فمن المستبعد أن تضيع منه ورقتين مهمتين بحجم المقدمة والخاتمة.

ت- لعل الشيخ توفي رحمه الله قبل أن يُتِمَّه؛ ذلك أنه من عادة المؤلفين القدماء أنهم يؤخرون كتابة المقدمة، لأنهم يضمنونها ملخص تجربتهم في التأليف، والخاتمة لاشك أنها تكتب بعد فراغ المؤلف من نسخ مخطوطه، فهي أيضا مما يكتب أخرا .

أما مضمون المخطوط، فقد انتظم في رقائق عاطرة. اشتملت على معاني روحية سامية، فيها من العمق التربوي والديني ما يثري رصيد المرء ويمتعه في الآن نفسه؛ وجاءت منضوية تحت مجالات ثلاث؛ أولها الأدعية وثانيها المناجيات (مفردها مناجاة)، وثالثها النصوص الشعرية التي تمثل قسم المنظوم في مخطوط الشيخ.

3.2. دلالة عنوان الكتاب (قراءة سيميائية)

لقد اهتمت السيميائية الحديثة بدراسة الإطار الذي يحيط بالنص، كالعنوان خاصة، والإهداء والرسومات التوضيحية وافتتاحيات الفصول وغيرها من النصوص التي أطلق عليها النصوص الموازية، من قبيل الوعي الدلالي، وليس من باب الترف الفكري، لأن العنوان هو أبرز النصوص لذلك كان دائما يعد نظاما لسانيا ذا أبعاد دلالية وأخرى رمزية تغري الباحث. لاسيما وأن العنوان عتبة رئيسة تفرض على الدارس أن يتفحصها ويستنطقها قبل الولوج إلى أعماق النص.

لذا لم يكن اهتمام السيمياء بالعنوان اعتباطيا بل أنه ضرورة كتابية، لا يجوز تخطيها، لكونه أولى عتبات النص، وأنه مفتاح الدلالة الكلية التي يستخدمها القارئ الناقد للوقوف على أفكار المؤلف. وكذا لكونه أولى عتبات النص التي لا يجوز تخطيها ولا تجاهلها .. فلا شيء كالعنوان يمدنا بزاد ثمين لتفكيك النص ودراسته.[5]

وتزداد أهمية العنوان في كونه الخطوة الأولى من خطوات الحوار مع النص ويُعَد من أولى العتبات المفضية إلى عالم الحقيقة النصية؛ بفعل حمولته الدلالية التي بإمكانها أن تحتوي النص، وبفضل مخزونه العلاماتي الذي يمكنه الإحالة إلى ما يقوله النص، بالإضافة إلى موقعه اللافت للاهتمام الذي يسترعي انتباه القارئ، ناهيك عما يمارسه من إغراء على ذهنه.

والعنوان هو الأداة التي تخلق العلاقة بين المتلقي والنص، بإثارة اهتمامه والمساهمة في بداية تشكل وعيه بمكونات النص. وهذا لأن القارئ يتوجه إلى النص وقد علقت في ذهنه إيحاءات العنوان ورموزه، وهو يقوم بربط كل هذا بما يلاقيه أثناء عملية قراءة النص وتأويله.[6]

وعليه يمكن القول أن العنوان رسالة، وهذه الرسالة يتبادلها المرسل والمرسل إليه، وهما يساهمان في التواصل المعرفي والجمالي، وهذه الرسالة مسننة بشفرة لغوية يفككها المستقبل حسب فهمه لها.[7]

ولاشك أن الشيخ سيدي محمد بوده كان على وعي تام بالوظيفة التأثيرية للعنوان، فاختار لكتابه نصا عنوانا مثيرا لانتباه القارئ، مستثمرا الموقع الأيقوني للعبارة العنوانية، فجعل عبارتي الفائدة والعظمة مقترنتان في خطابه العنواني المختصر، فالفائدة لا شك هي مطلب وضالة المرء دوما، والعظمة لا محالة تلفت انتباه وإعجاب الناس، بل وتستحضر احترامهم لها أيضا، وهذا مما يجعلني قائلا بتوفيق الشيخ في اختياره الواعي لعنوان الكتاب.

ISSN: 2170-1598
EISSN : 2600-6588

وفي سياق الاستقراء الدلالي لمفردتي العنوان، لابد من محاولة الوقوف على المعنى اللغوي لكليهما.

أما كلمة الفائدة فقد جاء في لسان العرب لابن منظور أن: الفائدة ما أفاد لله تعالى العبد من خير يستفيده، ويستحدثه.[8]

وفي أساس البلاغة للزمخشري، فتعني كلمة : فَيَدَ: أفدت منه خيرا واستفدته ... وفادت له من عندنا فائدة أي حصلت.[9]

وجاء في العجم الوسيط: الفائدة: المال الثابت. الفائدة: ما يستفاد من علم أو عمل أو مال أو غيره- والجمع فوائد.[10]

يتضح من خلال التعريف اللغوي أن الفائدة مرتبطة بالخير والنفع، وهو ما نجده متجسدا بين ثنايا والكتاب الذي جاء مليئا بالمنافع الدعائية أو لنقل الفوائد الدعائية، بما يؤكد مدى الانسجام بين العنوان ومتن الكتاب، الذي فيه من منافع الدعاء، والمناجاة، والقصائد الشعرية ذات البعد التربوي، التنويري.

كما نلاحظ أن الكلمة الأولى من العنوان جاءت بصيغة الجمع، بما ينسجم مع عدة حقائق؛ أولها تعدد فوائد الدعاء، وثانيها تعدد أنواعه.

أما فوائده العديدة؛ فمنها كونه عبادة يشعر المسلم من خلالها بلذّة الصِّلة، والتعلُّق بالله -تعالى-، والقُرب منه، كما أنه وجه من أوجه الإيمان بالله عز وجل، فهل يدعو الإنسان إلا من هو متيقن من قدرته على الاستجابة، والله أعظم من دعي ويدعى وأعظم من أجاب ويستجيب.

كما الدعاء في جوهره وسيلة من وسائل استمداد العون وقضاء الحوائج، ؛ إذ يسهل توجُّه العبد إلى ربّه بطلب حاجته، وهو مندوب في كلّ وقت، فلم يجعل الله -سبحانه وتعالى- له وقتاً مُحدَّداً، أو حَدّاً مُعيَّناً.

ويضاف إلى هذا كون الدعاء نهج الأنبياء والمرسلين، فقد وردت العديد من نصوص القرآن الكريم، والسنّة النبويّة التي تُبيّن فضل الدعاء، وأهمّيته، ومنها قول الله -تعالى:

﴿ادعوا رَبَّكُم تَضَرُّعًا وَخُفيَةً إِنَّهُ لا يُحِبُّ المُعتَدينَ﴾ سورة الأعراف، الآية 55. و قوله تعالى ﴿قُلِ ادعُوا اللَّهَ أَوِ ادعُوا الرَّحمنَ أَيًّا ما تَدعوا فَلَهُ الأَسماءُ الحُسنى﴾. سورة الإسراء، الآية 110. وقول الله -تعالى- على لسان نبيّه نوح: ﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِرْ﴾،سورة القمر الآية 10

كما نجد قول النبيّ -صلّى الله عليه وسلّم-: (إِذَا مَاتَ الإِنْسَانُ انْقَطَعَ عنْه عَمَلُهُ إِلَّا مِن ثَلَاثَةٍ: إِلَّا مِن صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو له).[11]فقد بيّن الحديث أنّ الدعاء نَفْعه عظيم يشمل الأحياء، والأموات.

أما الدلالة الثانية لصيغة الجمع في كلمة فوائد، فتكمن في تعدد معاني الدعاء؛ إذ لا يتضمن الدعاء معنى واحدا، وإنما يشتمل على مجموعة من المعاني؛ فهو لا يعني الطلب فحسب، وإنما يتجاوزه إلى معنى الثناء، والامتنان، والصلاة، والتسمية وما إلى ذلك من معان

وينتقل بنا التحليل الدلالي إلى محاولة الوقوف على المعاني اللغوية لكلمة العظيمة، التي تمثل العنصر العنواني الثاني، فكلمة عظيمة هي مؤنث عظيم، الذي يعني السمو والمهابة، وقد جاء في لسان العرب:

عظم: من صفات الله عز وجل العليّ العظيم، ، ويُسَبِّحُ العبد ربه، فيقول: سبحان ربي العظيم ، العظيم الذي جاوز قَدْرُهُ، وجلَّ عن حدود العقول حتى لا تُتَصَوَّر الإحاطة بكنهه وحقيقته .. لأن العظمة في الحقيقة لله عز وجل.

والعِظَمُ خلاف الصِّغَرِ. عَظُمَ يَعْظُمُ عِظَماً وعَظَامَةً.

وعَظَّمَ الأمر :كَبَّرَهُ. وأعظمه واستعظمه: رآه عظيما.[12]

ولفلان عَظَمَةٌ عند الناس أي حرمة يُعَظَّمُ لها، وإنه لعظيم المعاظم، أي عظيم الحُرْمَة .[13]

ISSN: 2170-1598
EISSN : 2600-6588

أما عظمة هذه الفوائد، فتتجلى في عظمة الغاية التي تصل إليها، والقيمة التي تكتنفها، ذلك أن الدعاء مخ العبادة، وهو صلة روحية بين المخلوق والخالق العظيم، فالغاية منه هي التقرب من الله العظيم، فعظمته من عظمة من يتصل به، ذلك أن معاني التعظيم : التبجيل[14]. والدعاء والمناجاة من أنسب أوجه تعظيم الله وتبجيله.

ومن عظمتها أيضا أنها فوائد تعليمية، والعلم كما هو معلوم وسيلة لنيل حب المولى وإكرامه من خلال رفع درجة الذين أوتوا العلم مصداقا لقوله تعالى: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾سورة المجادلة، الآية.11

أما التركيب اللغوي لعنوان الكتاب ، فجاء جملة اسمية مُعَرَّفة، اشتملت على مبتدأ منعوت وخبر نعت، وللتعريف الذي اشتمل عليه العنوان دلالة وظيفية عميقة ؛ ذلك أن فائدة الدعاء معروفة، ومثبتة في آيات القرآن الكريم.

كما ينم العنوان عن إدراك عميق للعظمة الإلهية، التي تجعل المرء في حاجة دائمة للاستهلام منها والتذلل أمامها تبجيلا و ثناء وامتنانا و خوفا وطمعا.

وليس هذا بمستغرب من شيخ جليل كسيدي الحاج محمد بوده، الذي استنبتته المدرسة القرآنية، وبيئة دينية محافظة تقدر الله حق قدره.

3. خاتمة :

نجدد ختاما التذكير بخطة موضوعنا التي انتظمت في مبحثين اثنين اشتمل أولهما على تقديم العينة، ويتعلق الأمر بترجمة الشيخ الإمام محمد بوده، وكذا تقديم مخطوطه المعني بالدراسة، ثم انتقلنا في ثانيهما إلى التحليل السيميائي لعنوان المدونة، الذي افتتحناه بتوطئة حول العنوان بوصفه عتبة سيميائية رئيسة، ثم انتقلنا بقراءتنا الدلالية نحو التحليل السيمائي لعنوان مخطوط الفوائد العظيمة.

إن المقصود من محاولتنا الإجابة عن تلك التساؤلات المطروحة أعلاه، هو أن يختبر الباحث درجة وعيه بطبيعة الموضوع الذي يقرؤه، وأن يدرب ذهنه على الفهم العميق لمجمل الإجابات التي تصادفه أثناء القراءة، فالكلمة الأخيرة ليست للمؤلف، وإنما هي كلمة القارئ، فهو الذي سيقرأ وهو الذي سيتفاعل ويقتنع، ولا ريب في أن الهدف الأساسي من قراءة أي كتاب ينبغي أن يكون الاستفادة والارتقاء في معارج العلم والفهم، وتحسين المحاكمة العقلية لدى القارئ، وكشف مساحات الجمال في النص الذي يقرؤه والقبض على الأفكار والإضافات والنقاط الجديدة.

لكن يجب القول أنه لا يمكن الحكم على أي قراءة بأنها الأنسب بشكل مطلق؛ لأن النصوص قابلة للتأويل والتعدد القرائي، وهذا حتما سيؤدي إلى تعدد القراءات النقدية بتعدد فهم السياق النفسي لتقديم سبر جديد لسياق النص .وعليه فإن القراءة كفعل إبداعي ونقدي تسعى إلى مساءلة القارئ في كشف معنى النص، فتنتقل لقراءة بذلك من أنا المؤلف إلى أنا القارئ الذي يمثل أفق المعنى اللانهائي؛ لأن التأسيس للقراءة يستلزم التركيز على المعنى من خلال عملية الانصهار والتفاعل بين علامات النص الفني، وفعل الفهم عند المتلقي. وبناء على ذلك يصبح النص غنيا بالدلالات الموحية والتأويلات اللانهائية التي تنشط الفكر على الاستجابة لكل ما يُقْرَأ؛ لأن القراءة الواعية من المتلقي هي الأهم في تشكل النص الأدبي، وهي ما يستجيب للنداء الكامن في العمل الإبداعي بوصفها تجسد حضورا لكل ما هو غائب وخفي. وهو ما يكسبها تفاعلا بين النص الإبداعي

ISSN: 2170-1598
EISSN : 2600-6588

والمتلقي الذي يمنحها وجودها الفعلي في الوسط الإبداعي. وأحسن القراءات هي التي تتمكن من التوفيق بين أنا المؤلف وأنا القارئ بوصفه مبدعا افتراضيا.[15]

ونخلص ختاما للقول: إن شيخنا الجليل أولى عملية العنونة عناية واضحة، ذلك أن عبارة : **"الفوائد العظيمة"**، عنوان مدروس؛ وقد شكَّل نقطة وصل قرائية جمعت بين وعي المؤلف بعملية العنونة، وبين المتلقي، الذي كان في حسبان صاحب العنوان، خلال عملية الصياغة العنوانية، كما جمعت هاذين بمتن الكتاب، ويتجسد ذلك في تعالق العنوان وانسجامه مع موضوعات الكتاب بشكل بارز.

4. الهوامش:

[1] - يُنْظَر: منهجية التأليف عند أبي إسحاق الحصري القيرواني، العيد بوده، أطروحة دكتوراه، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، 2019م. ص: 175

[2]- يُنْظَر: العنوان بين مدلول اللغة ومفهوم الاصطلاح(مقال علمي)، بن الدين بخولة، مجلة علوم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب واللغات، جامعة الوادي، مج10، ع13، 2018م.ص:440

[3]-- للتزود بمعلومات مفصلة عن ترجمة الشيخ يُنْظَر: العيد بوده، الشيخ الإمام المجاهد الحاج محمد بوده. سيرة ومناقب، دار خطوة للنشر والتوزيع، سكيكدة-الجزائر، 2024م.

[4] - للتعرف على أصول وتطور وأنواع الخط المغربي، يُنْظَرُ: محمد مرتاض، الخط العربي وتاريخه، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1994م.

[5]- يُنْظَر: منهجية التأليف عند أبي إسحاق الحصري القيرواني، العيد بوده، أطروحة دكتوراه، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، 2019م. ص ص:174-175-176

[6] - العنوان بين مدلول اللغة ومفهوم الاصطلاح(مقال علمي) بن الدين بخولة، ص: 441

[7] - السيميوطيقا والعنونة، جميل حمداوي، مجلة عالم الفكر، وزارة الثقافة الكويت، ع3، مج25، 1997م، ص:101.

[8] - لسان العرب، ابن منظور، تح: عامر أحمد جهور، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط1، 2003م.مادة (فود)، 3/ 340

[9] - أساس البلاغة، أبي القاسم جار الله محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري، تح: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط1، 1998م. مادة (فَيَدَ)، 2/ 43--44

[10] - المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وآخرون، مجمع اللغة العربية، دار الدعوة، القاهرة، ط4 ، 2004م، ص: 708

[11] - ورد الحديث في: صحيح مسلم، أبو الحسن مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، دار إحياء التراث العربي بيروت-لبنان، ط1، 1998م. كتاب الوصية-بابا ما يلحق الإنسان من الثواب بعد موته، 3/ 1255

[12] - لسان العرب، ابن منظور، 31/ 3004

[13] - لسان العرب، ابن منظور، 31/ 3005

[14] - لسان العرب، ابن منظور، 31/ 3005

[15]- يُنْظَر: موسوعة المثقف، مجموعة مقالات في جميع المجالات، مؤسسة المثقف للنشر والتوزيع، باتنة- الجزائر-دط،2017م،ص ص:36-37 .

ISSN: 2170-1598
EISSN : 2600-6588

5. قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم برواية ورش عن نافع.
- أبو الحسن مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، صحيح مسلم، دار إحياء التراث العربي بيروت، لبنان، ط1، 1998م.
- العيد بوده، الشيخ الإمام المجاهد الحاج محمد بوده. سيرة ومناقب، دار خطوة للنشر والتوزيع، سكيكدة-الجزائر، 2024م.
- محمد مرتاض، الخط العربي وتاريخه، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1994م.
- موسوعة المثقف، مجموعة مقالات في جميع المجالات، مؤسسة المثقف للنشر والتوزيع، باتنة-الجزائر-دط،2017م.

المعاجم:

- إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، دار الدعوة، القاهرة، ط4، 2004م.
- ابن منظور، لسان العرب، تح: عامر أحمد جهور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2003م.
- محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري، أساس البلاغة، أبي القاسم جار الله، تح: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان،ط1، 1998م.

الرسائل الجامعية:

- العيد بوده، منهجية التأليف عند أبي إسحاق الحصري القيرواني، أطروحة دكتوراه ، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، 2019م.

المقالات :

- بن الدين بخولة، العنوان بين مدلول اللغة ومفهوم الاصطلاح، مجلة علوم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب واللغات، جامعة الوادي، مج10، ع13، 2018م.
- جميل حمداوي، السيميوطيقا والعنونة، مجلة عالم الفكر، وزارة الثقافة الكويت،ع3، مج25، 1997م.